Psychological Alienation in The Poetry of Nazik Al-Mala'ika

Assit. Lect. Nejat Alwan Alkinani
College of Education
University of Basrah

Abstract

The early life of Nazik Al-Mala'ika has an eminent impact on her later poetic product, particularly these poems through which she revealed her sufferings, pains and feeling with the bitterness of alineation and loss. the circumstances she experienced caused her pains, sorrows and moaning, and consequently made her live in psychological alienation. The vocabulary that embody the sense of her alienation were easy and accommodating, void of utterance decoration, pleasing one's self and accurate in describing the state of consciousness she experiences. Among the vocabulary she uses in expressing her alienation (alienation, sorrows, throes, solitude, life-loss, crying). Most of psychological alienation aspects were sensitive, dynamic ones. she expressed, through the verbs she used, her suffering inner consciousness with all the surrounding social circumstances .Her alienation poems are characterized with their sad musical tones, which are harmonica and appropriate with her state of consciousness.

الغربة النفسية في شعر نازك الملائكة

م.م نجاة علوان الكناني
جامعة البصرة – كلية التربية
قسم اللغة العربية

الملخص :

لقد كان لنشأة نازك الأثر البارز في ماتركت من نتاج شعري ،ولاسيما تلك القصائد التي بثت من خلالها معاناتها وآلامها وإحساسها بمرارة الغربة والضياع ،وان الظروف التي مرت بها تركت في داخلها ألماً وحزناً وأنيناً ، وبالتالي جعلتها تعيش في غربة نفسية .

وان الألفاظ التي جسدت معنى غربتها كانت سهلة مأنوسة ،تخلو من التزويق اللفظي ،قريبة الى النفس ، دقيقة في وصف الحالة الشعورية التي تمر بها.

فمن الألفاظ التي استعملتها في التعبير عن اغترابها هي (الاغتراب ، الأحزان ، الآهات ، الوحدة ، ضياع العمر ، البكاء).

وان معظم صور الاغتراب النفسي عندها. كانت حسية حركية عبرت من خلال الأفعال التي استعملتها عن إحساسها النفسي المتألم لكل ما يحيط بها من ظروف اجتماعية .

واتسمت قصائد الغربة لديها بنغماتها الموسيقية الحزينة ،المنسجمة والمتلائمة مع حالتها الشعورية.

الغربة النفسية في شعر نازك الملائكة

المقدمة:

أن الغربة النفسية ظاهرة تعكس حالة الالم والعذاب النفسي الذي يمر به الإنسان فهي تجسيد حي لما يدور في داخله من احاسيس، ولما يشعر به عندما لا يستطيع التغلب على عقبات بيئته الاجتماعية.

وقد عانت نازك من غربة مكانية ايضاً[1] وذلك في اثناء رحلتها إلى لندن مع والدتها عام 1953، وخلال دراستها في احدى جامعات الولايات المتحدة عام 1954، وفي عودتها بعد عامين زارت ايطاليا وجنوب فرنسا ودمشق، وعندما ابعدت سياسياً إلى بيروت عام 1959–1960، وخلال اقامتها في الكويت للتدريس بجامعتها عام 1969–1982.

ولهذه الغربة المكانية أثر نفسي كبير عليها، ولا سيما موت والدتها خلال رحلتها إلى لندن لغرض العلاج، فكانت التجربة قاسية تركت اسىً وحزناً عميقاً في داخلها عكسته في تجربتها الشعرية.

وان غاية البحث هي بيان الأثر الذي تركته الظروف والضغوط الاجتماعية على نفسية الشاعرة، وكيف ادى بها ذلك إلى عدم التوافق مع الواقع والعيش في غربة عنه، فضلاً عن الاشارة إلى ان هذه الغربة النفسية كانت احدى اسباب كآبتها وحزنها المستمر.

وقد اخذتُ من المنهج النفسي تأطير اسس وآليات ومنهجية بحثي هذا، وذلك لان الغربة النفسية هي بيان لما في داخل النفس من معاناة وآلام نفسية، ولهذا فقد قمت بتحليل بعض النصوص التي تجسد تلك الظاهرة، متناولة الاسباب التي دفعتها إلى تلك الغربة.

ولتكون هذه الدراسة وافية فقد تناولت تعريف (الغربة) و (الاغتراب) لغة واصطلاحاً، فضلاً عن تحديد مفهوم (الغربة النفسية)، ثم اشرت إلى بعض الظروف التي احاطت بالشاعرة

لبيان اسباب غربتها، وبعد ذلك درست اللغة التي استخدمتها في التعبير عن اغترابها النفسي، فضلاً عن دراسة صورها الشعرية وموسيقاها من خلال النصوص الشعرية.

الغربة لغة :

تعرف الغربة بـ ((غَرَبَ – غَرْباً: ذهب ... وغُرُوباً الرجُلُ: بَعُدَ. يقال ((اغْرُب عني)) أي تباعَدْ ... الغَرْبة: البُعْد. الغريب ج غُرَباء: البعيد عن وطنه.))[2].

وتعني ((الغُرْبة: البعد عن الوطن، يقال: غَرَبَت الدَّار. ومن هذا الباب: غُروب الشمس، كأنه بُعْدُها عن وجه الأرض.))[3].

و((اغْتَرَبَ: نزح عن وطنه: تزوج في غير الأقارب. تَغَرَّب: نزح عن وطنه: أتى من قِبل المغرب: تنحى وبَعُدَ.))[4].

الغربة اصطلاحاً:

((أن الغربة هي احدى سمات الشخصية غير المتوافقة فعندما يكون الانسان غير متوافق مع بيئته الاجتماعية فانه عند ذلك يشعر بغربة عن مجتمعه))[5]، اما الاغتراب فقد ((حددت البحوث المعاصرة معاني هذا الاصطلاح بخمسة ابعاد هي: العزلة الاجتماعية والاغتراب النفسي وفقدان المعايير والشعور بالعجز وفقدان الهدف.))[6]. فالفرد عندما يتعرض لضغوط اجتماعية معينة ولا يستطيع تغييرها، يظل يعاني من مشاعر مختلفة تجعله غريباً عن واقعه الاجتماعي، كالشعور بعدم الارتياح والالم النفسي فـ ((حين تتضافر العوامل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية بشكلها المضطرب والسلبي يزداد الاغتراب شراسة وتصعب مهمة التحرر منه.))[7] حتى يصل الامر بالفرد إلى العيش في عزلة عن مجتمعه.

اما مفهوم الغربة النفسية فـ ((من الصعب تعريف المفهوم الاساسي للغربة النفسية تعريفا واضحا ودقيقا، لذا فقد تضاربت الاراء حول ذلك، ولكن على الرغم من تباين هذه الاراء واسلوب معالجتها فان اكثرها يشير الى دخول عناصر معينة في مفهوم الغربة النفسية مثل: العزلة والانفراد والعجز عن التلاؤم والاستياء والاخفاق في التكيف مع الاوضاع السائدة في المجتمع وانعدام الشعور بمغزى الحياة.))[8]. وان اتفاق معظم الآراء حول العناصر التي ذكرها الباحث أحمد حاچم يدل على ان هذه الغربة النفسية ناتجة عن عدم توافق الفرد مع واقعه كما بينت ذلك سابقاً.

ولذلك فان الغربة النفسية عند نازك يمكن ان تعني العزلة والانفراد، فضلاً عن عدم التوافق مع المجتمع، ومن ثم العيش في غربة موحشة، ولطبيعتها الحساسة ورقة شعورها فقد اشتدت غربتها النفسية تلك، واصبحت تبكي الماً وحزناً لضياع أحلامها وأمانيها في الحياة.

أثر الظروف في تحديد غربة الشاعرة :

لمعرفة الاسباب المؤدية إلى غربة نازك الملائكة النفسية، لابد من الوقوف عند الظروف والعوامل المختلفة التي أحاطت بالشاعرة منذ نشأتها الأولى، وان للظروف الاجتماعية أثراً واضحاً وبيناً على نفسية الاديب الذي ينقل من خلال كتاباته الادبية كل ما يدور في داخله من أحاسيس ومشاعر حول مواقف حياته المختلفة، ونازك دائماً تعبر عما تحس وتتأثر به وهذا يتضح من قولها:[9]

اعبر عما تحس حياتي وارسم إحساس روحي

الغريب فأبكي إذا صدمتني السنين بخنجرها

الأبدي الرهيب واضحك مما قضاه الزمان

على الهيكل الآدمي العجيب واغضب حين يداس

الشعور ويسخر من فوران اللهيب

فالشاعر هو الصوت المُعبر عما يدور في نفسه والمتأثر بظروف مجتمعه، ولا سيما تلك الظروف التي تؤدي به إلى الاغتراب ولهذا ((تشترك قصائد الغربة بخصوصية واحدة، هي انها تعبير صادق عن الهموم الذاتية للانسان والشاعر انسان مرهف، يشعر بما يحيط به من مؤثرات، تتغلغل الى اعماق ذاته، فيتأثر بها ويعبر عنها تعبيرا صادقا بالفاظ رقيقة، وجمل موزونة، يرسم بها صورة شعرية مشحونة بخلجاته الوجدانية وانفعالاته النفسية.))[10].

لقد كان لنشأة نازك الأثر البارز فيما تركت من نتاج شعري، ولا سيما تلك القصائد التي بثت من خلالها معاناتها وآلامها واحساسها بمرارة الغربة والضياع، و ((كانت نشأتها الاولى في بيت حافل بالسكان من اهل ابويها، وما يضطرب بين جدرانه من الصخب والضجيج، كانت هذه النشأة سبباً في انقباض نفسها، وميلها الى العزلة والسكون ...))[11]مما ولد لديها نظرة قاتمة إلى

الحياة وانقباضاً وان من اسباب هذا الانقباض[12] احداث وظروف لها من عمومية الأثر وخصوصيته على تجربة الشاعرة وبناء هيكل غربتها النفسية داخلها، والظروف هي التي فجرت ينابيع الابداع الشعري عندها، الابداع الاغترابي خاصة.

فمن تلك الاحداث الخاصة هو موت ثلاثة من اعز اقاربها ولا سيما موت والدتها، فالموت وما فيه من اسرار قد أثر فيها وأفزعها، ومن الاحداث الخاصة ايضاً تصدع الدار القديمة التي قضت فيها طفولتها، وانتقالها منها حين بلغت الثامنة من العمر، تاركة كل ذكرياتها فيها، فضلاً عن مجئ الحرب العالمية الثانية بنكباتها وأحزانها، فاصبح المجتمع يعيش في حالة من الخوف والغربة واليأس، فكان من الطبيعي ان تتأثر بما يجري من حولها من احداث، تركت في داخلها أثراً نفسياً وذكرى مؤلمة، سببت لها اغتراباً وحزناً فهي إنسانة رقيقة الشعور، شديدة الاحساس.

فنازك كانت تفضل العزلة والانكفاء إلى الذات ((وإذا كان الاعتزال سمة من سمات المبدعين، وانه لا ابداع حقيقياً من غير عزلة تتيح للمبدع مراجعة الذات واستبطان أعماقها، فإن الاعتزال المستمر قد يقود الى ما يطلق عليه ((اغتراب النفس)) ...))[13].

وهنالك ايضاً تجربة أخرى مريرة في طفولتها جعلتها روحاً مغتربة[14]، وهي ان والدها في عام 1930 قد نقل الاسرة إلى ضاحية (الكرادة الشرقية) وكانت تتكون من بساتين وحقول وبيوت محدودة، وهي منطقة مليئة بالحيوانات المتوحشة كالذئاب وابن آوى الذي ينتشر في الشوارع خلال الليل، ويصدر اصواتاً موحشة مُخيفة، مما جعلها تعيش في غربة وقلق نفسي منذ وقت مبكر في حياتها.

وبالرغم من انتهاء تلك الاحداث الا ان ما سببته من معاناة لم يزل أثره في ما استوحته من مشاعر واحاسيس خلال تجربتها الشعرية المجسدة (للغربة) خاصة، ولذا فقد عاشت في غربة نفسية بعيدة عن العالم الذي تحيا به، ومن ثم النظر إلى هذه الحياة نظرة مليئة بالحزن والتشاؤم.

وان نظرة المجتمع إلى المرأة في ذلك الوقت، قد اسهمت في تأطير شعورها بالاغتراب ((فنازك نشأت في بيت شرقي متعصب لا يسمح للبنت ان تطل على العالم إلا من خلال نافذة شأن كل البيوت في البيئة العراقية المحافظة اول العقد الرابع.. لذلك فقد شعرت بالاحساس بغربتها

نفسيا وفكريا عن تلك البيئة...))[15] عندما وجدت نفسها غير قادرة على التكيف معها، فكان ذلك المجتمع بقيوده الظالمة سبباً في اغترابها، مما كان له أثر واضح في ان يكتسب شعرها طابعاً عاطفياً حزيناً ((فاغتراب الشاعرة الروحي والفكري كان احد اسباب حزنها ولعل سبب هذا الاغتراب يعود الى تكوين الشاعرة النفسي وعدم قدرتها على التوافق مع الواقع إضافة إلى ثقافتها الواسعة.))[16] وان هذا الاغتراب قد جعل من حزنها ظاهرة بارزة في شعرها، وقد اشار د. سالم احمد الحمداني[17] الى العديد من الدارسين الذين تناولوا هذه الظاهرة في شعرها بالبحث والدراسة فضلاً عن دراسته.

اللغـة:

ان اللغة كما هو معروف هي الوسيلة الأفضل في التعبير عما يدور في داخلنا من أحاسيس ومشاعر، وهي التي ايضاً يحاول الشاعر من خلالها ايصال افكاره إلى الآخرين، فـ ((يختار من الألفاظ والعبارات أقدرها على نقل الإحساس وأحفلها بالظلال والإيحاء والتصوير، حتى يستطيع أن ينفذ إلى نفس قارئه، ويثير لديه إحساساً مماثلاً، وينقل إليه تجربته التي عاناها.))[18].

((لقد أهتمت نازك باللغة الى جانب اهتمامها بالشعر، ودارس شعرها لن يعثر ... على الغموض المفضى الى الإبهام، لكنه يجد شعرا رقيقا سليم اللغة صافي الأسلوب واضح الأهداف. ولغتها الشعرية تعبر عن حياتها الفكرية والوجدانية وتصور مشاعرها وأحاسيسها...))[19]، وهذا دليل على ان الفاظها بوجه عام كانت سهلة مأنوسة، تخلو من التزويق اللفظي، فهي قريبة إلى النفس أتسمت بدقتها في وصف الحالة الشعورية التي تمر بها.

وفيما يأتي أبرز الالفاظ التي جسدت معنى غربتها وشكلت معجماً شعرياً ثراً:

أ- المعجم الشعري لالفاظ الغربة النفسية:

لقد استعملت نازك الالفاظ الدالة والمعبرة عن غربتها النفسية نتيجة لاصطدامها بالظروف الاجتماعية التي واجهتها في حياتها.

فمن الالفاظ التي استعملتها في التعبير عن اغترابها هي (الاغتراب والأحزان والآه والوحدة وضياع العمر والبكاء) ، فهذه الالفاظ تعبر بدقة عن إحساسها المرير وعذابها النفسي لاغترابها عن الواقع.

ففي قصيدتها (ميلاد نهر البنفسج) تستعمل الفاظ (الاغتراب والأحزان)

فتقول:[20]

وقلبي اغترابْ

وبيني وبينك ينسدل الليلُ في ألف سترٍ وبابْ

ويحجبني عنك ألف حجاب

وتبقى القصيدةُ سور مدينه

ملثمة بحصونٍ حزينه

فالليل هنا بستاره وابوابه وتلك القصيدة الملثمة، ما هي الا اشارة منها إلى الظروف التي حالت دون تحقيق ما تصبو إليه من طموحات وأمان، وما صورة (وقلبي اغتراب) الا تجسيد وافٍ لمعنى الغربة عندها، ان لم يكن تأطير لها في اعماق نازك الحزينة توسلت لابرازها بالتشبيه البليغ، فضلاً عن ان تجربة نازك الشعرية هنا بنيت اساساً على اغتراب القلب والمشاعر الذي جعل الحزن لم يلف الشاعرة فقط بل حصون مدينتها ايضاً.

وكذلك استعملت لفظة (الآه) الدالة على شدة اغترابها النفسي كما في قولها:[21]

آهِ لو لم أسمع الصوتَ الكئيبا

وقولها:[22]

آه لو تُدركين كيف أحسُّ الـ

كونَ صحراءَ خلفها صحراءُ

وقولها:[23]

إرتوائي؟ أواهُ من حرق الرو

حِ لماذا تظلُّ روحي ظمأى؟

وعبرت عن عمق اغترابها النفسي بلفظة (الأحزان) في قولها:[24]

يـا همـوم الشـبابِ فـيم تكونيـ

ـــــنَ أحـــــرَّ الهمـــــومِ والأحـــــزانِ؟

أنـتِ يـا منْ يصوغُكِ القدرُ الظا

لـــــمُ لـــــيلاً علـــــى الوجـــــودِ الفـــــاني

فـيم كـان الشبابُ مرمـاكِ يـا أحـ

زانُ مـــــاذا تـــــرى الشـــــبابُ جنـــــاهُ؟

فـــيم لا تعصـــرين إلا صِـــبانا

حســـــبُنا يـــــا أحـــــزانُ مـــــا ذقنـــــاهُ

ويمكـن تصـور شـدة حزنهـا لا سـيما وان هـذه الابيـات مـن قصـيدة لهـا تحمـل عنـوان (احزان الشباب)، فغربتها النفسية التي عاشت بها سببت لها حزناً شديداً دفعها إلى التساؤل عن سبب اختيار تلك الأحزان للشباب بالذات.

واستعملت ايضاً في قصائدها الفاظ (ضياع العمر، الوحدة) كقولها:[25]

ضاع عُمري في دياجيرِ الحياة

وقولها:[26]

وحدتي تقتلُني والعُمرُ ضاعا

وقولها:[27]

أنا وحدي فوق صدر البحر يا زورقُ فارجع

...

أنا وحدي، أيها الملاحُ، حُزنٌ وبُكاءُ

وقولها:[28]

شكوتُ الى الريح وحدة قلبي وطول انفرادي

لقد كان وراء كل تلك الالفاظ التي استعملتها اغتراب نفسي عميق، دل على الألم المرير الذي تركته تجارب الحياة وظروفها في داخلها.

ب- التكرار:

لقد وظفت نازك (التكرار) في أغلب قصائدها، توظيفاً فاعلاً كشف عن أبرز صور الاغتراب التي أثرت فيها انطلاقاً من مقولتها: ((فالتكرار يسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة ويكشف عن اهتمام المتكلم بها...))[29].

ففي قصيدتها (السفر) تكرر كلمتي (وحدي، عد) عدة مرات بقولها:[30]

أنا وحدي فوق صدر البحر يا زورقُ فارجعْ

...

فلتعُد للشاطئ الساجي بقلبي المُتضرعْ

عُدْ الى الشاطئ، عدْ ما عاد يحلو لي البقاءُ

...

أنا وحدي، أيها الملاحُ، حُزنٌ وبُكاءُ

يرجعُ الزورقُ بي وحدي إذا جاء المساءُ

فهي هنا ارادت التأكيد على شدة الاغتراب الذي تشعر به لوحدتها في هذه الحياة من خلال تكرارها لكلمة (وحدي)، فتنادي الزورق بقولها (يا زورق فارجع) لتؤكد رغبتها في العودة ثم

تكرر كلمة (عد)، وهي بذلك تخاطب نفسها وذاتها المرهفة الحس لتؤكد عمق معاناتها ويأسها في العودة إلى الحياة التي تتمناها.

وفي قصيدتها (وجوه ومرايا) تكرر كلمة (ارتوائي؟) عدة مرات تأكيداً منها لما تركته الغربة في اعماقها من حرمان وشعور بالخيبة فهي عطشى، رغم محاولاتها ولكن دون جدوى فما هو الا سراب تركض وراءه، وهذا دليل على خيبة أملها لعدم تحقيق أمانيها فتقول:[31]

إرتـوائي؟ أواهُ مـن حـرق الـرو

حِ لمـــــاذا تظـــــلُّ روحـــــي ظمـــــأى؟

إرتـوائي؟ هـذا السـرابُ الـذي يـر

كـــــضُ قلبـــــي وراءهُ وهـــــو ينـــــأى

إرتـــوائي حســـبتُهُ شـــفقاً حُلـــ

ـــــواً فلمـــــا دنـــــوتُ لـــــم أرَ شـــــيئا

وهي لم تكتف هنا بتكرار لفظ، بل سعت لتوظيف التكرار هنا عبر الاستفهام الانكاري الفاعل والثري في صور الشاعرة تلك التي اغنت معاني تجربتها بمعان للضياع والغربة غير محدودة، كما ان لفظة (ارتوائي) استدعت صورة (الظمأ او ظمأ الروح) الذي هو من أبرز صور الغربة النفسية.

الصورة الشعرية:

كانت الصورة أبرز ان لم تكن ابلغ آليات الشاعرة التي وظفتها لرسم معالم غربتها النفسية، وان الصور التي يرسمها الشاعر تدل على الاحداث التي تركت انطباعاً معيناً في داخله، ولهذا فقد ((ارتبطت الصورة دائماً بموقف من الحياة ودلت على خبرة الشاعر ونظراته الدقيقة الى دقائق الامور. بذلك اصبحت الصورة تنقل مشهداً حياً، كما تلخص خبرة وتجربة إنسانية.))[32].

ومن نماذج الصور البصرية المتحركة قولها في قصيدة (احزان الشباب):[33]

كــلَّ يــومٍ أرى شــبابَ حيــاتي

فـــي حمـــى الوحـــدةِ المريـــرةِ يـــذوي

وأرانـــي أســـيرُ مرغمـــةَ الأقـــ

ـــدامِ فـــي عاصـــفِ الزمـــانِ المُـــدوِّي

فهي في كل يوم ترى شبابها وهو يندثر في تلك الوحدة المريرة التي تعاني منها من خلال استخدام الافعال (أرى، أراني)، ثم تبين حركتها من خلال الفعل (أسيرُ) الذي يؤكد استمرار سيرها المرغم في هذا الزمان القاسي عليها، فالصورة الحسية هنا مرئية متحركة، وما هذا التصوير الا تأكيد منها على شدة اغترابها.

وفي قصيدتها (الخطوة الاخيرة) تخاطب الأشجار بوصفها نديمها في يأسها من الحياة عبر آلية التشخيص قائلة:[34]

إشهدي أيتُها الأشجارُ، أني
لن أُرى ثانيةً تحت الظلال

ها أنا أمضي فلا تبكي لحُزني

لا يُعذبك اكتآبي وابتهالي

خُطواتي، في الدُجى لا تحسبيها

انها آخرُ ما أخطو هُنا

انها رجعُ أغانٍ لن تعيها

سوف تذوي مثلما أذوي أنا

فالصورة البصرية الحركية تتجسد بالافعال (لن أُرى، أمضي، فلا تبكي، لا يعذبك، لا تحسبيها، لن تعيها، تذوي)، فكثرة الافعال المنفية هنا تدل على انها كانت قلقة مضطربة نفسياً، مفضلة الموت لانها ترى فيه نهاية لحزنها وغربتها، فهي كانت مصرة على تخطي الظلام وعدم الوقوف مكتوفة اليدين تبكي وتكتئب، الامر الذي جعلها تلجأ إلى الطبيعة شاكية إليها، فالصورة هنا أوحت بمدى اغترابها النفسي.

وفي صورة حسية اخرى تستخدم نازك أكثر من حاسة ((ويطلق النقاد على هذا المفهوم بـ (تزامن الحواس) في الصورة الشعرية وهو نوع من انواع التصوير الحسي يلجأ فيه الشاعر الى الوصف الحسي من خلال حاستين او اكثر ضمن صورة حسية شعرية واحدة ...))[35] وتسمى ايضاً بالصورة المشتركة، ويأتي بها الشاعر تأكيداً منه على عمق مأساته وشدة انفعاله النفسي.

ومن امثلة ذلك قولها في قصيدة (في وادي العبيد):[36]

ها أنا وحدي على شطِّ المماتِ

والأعاصيرُ تُنادي زورقي

ليس في عينيّ غيرُ العبراتِ

والظلالُ السودُ تحمي مفرقي

ليس في سمعي غيرُ الصرخاتِ

أسفاً للعُمرِ، ماذا قد بقي؟

ففي هذا المقطع ترسم صورة حسية مشتركة حركية مشاركة الطبيعة عبر توظيفها الفعل (تُنادي) للأعاصير، فهي وحيدة على شط الممات تناديها الأعاصير والعبرات تملأ عينيها

والصرخات ايضاً تملأ سمعها، معلنة أسفها لضياع كل شئ، فالصورة هنا تعتمد على حاستي البصر والسمع التي أعطت وصفاً دقيقاً لحالتها، وهذا دليل واضح لما تعانيه من اغتراب نفسي ترك في داخلها حزن دفين، علماً ان للتشخيص في هذا المقطع الأثر الفاعل في تجسيد اغترابها الفعلي عبر صور (شط الممات ونداء الأعاصير وسواد الظلال).

اما في قصيدتها (السفينة التائهة) فتقول:[37]

رحماكِ يا أيدي الكآبةِ ما الذي قد كان مني؟

ماذا جنيتُ لتعصُري قلبي وأحلامي ولحني؟

أبداً تمُدين الجناح على خيالاتي وفني

وتلونين مشاعري بسواد آهاتي وحُزني

لقد رسمت صورة رائعة لـ (أيدي الكآبة) من خلال اعتمادها على حاستي (البصر والسمع)، فالتشخيص هنا قد عبر عن عمق اغترابها النفسي فقد عصرت تلك الأيدي قلبها وأحلامها ولحنها ولونت مشاعرها بسواد الآهات والأحزان.

ان هذه الاسطر الشعرية الحزينة، عبرت من خلالها عن مدى الاغتراب الذي تعانيه إلى درجة انها تطلب الرحمة من أيدي الكآبة، متسألة عن الشئ الذي جنته لتحول حياتها إلى حزن وآهات.

الموسيقى:

الموسيقى تثير القارئ وتبين معاناة الشاعر إن لم ترسم تجربته، و((ان لكل كلمة جرس موسيقي يتفق مع تآلف حروفها حينما تنطقها فتكون رقيقة ذات جرس مؤثر على السمع... كما ان الكلمة تمتلك طاقة اضافية بترنيمها او بنطقها مرنمة تضاف تلك الطاقة الى جرسها الموسيقي.))[38].

ان الظروف التي مرت بها نازك تركت في داخلها الماً وحزناً وانيناً، ومن ثم جعلتها تعيش في غربة نفسية، لا سيما وانها كانت إنسانة مرهفة الحس سريعة التأثر بما حولها.

فالشاعرة ابتدأت مسيرتها الشعرية في وقت اشتدت فيه الظروف عليها، ولهذا فقد جاءت الأنغام الموسيقية لتعبر عن حالتها الانفعالية خير تعبير، فالموسيقى تحدث نغماً معيناً يمكن من خلاله معرفة الحالة النفسية للشاعر.

سأتناول في دراستي للموسيقى بعض القصائد لأبين من خلالها أثر الاغتراب النفسي على الشاعرة الذي أدى بها إلى توظيف انغام موسيقية حزينة.

ان الاغتراب النفسي جعل من حياة نازك مأساة ولهذا فهي تقول في قصيدتها (مأساة الحياة):[39]

كيف يا دهرُ تنطفي بين كفيـ

ـكَ الأماني وتخمد الأحلامُ؟

كيف تذوي القلوبُ وهي ضياءٌ

ويعيشُ الظلامُ وهو ظلامُ

كيف تحيا الأشواكُ والزهرُ الفا

تنُ يذوي في قبضة الاعصارِ

كيف تمضي الى الفناء الأناشيـ

ـدُ وتبقى سُخريةُ الأقدارِ

حدثي القلبَ أنتِ أيتها المأ

ساة يا من قد سميت بالحياةِ

ما الذي تصنعين بي في الغد المجـ

ـهولِ ماذا ترى مصيرُ رفاتي؟

لقد جاءت الموسيقى الشعرية ذات النغم الحزين منسجمة مع الموقف الشعوري الذي تمر به، فما تساؤلاتها العديدة إلى هذه الحياة فضلاً عن تكرارها للفظة (كيف) الا نتيجة لما تعانيه من اغتراب نفسي، فالحياة لديها عبارة عن مأساة جعلتها دائمة السؤال عن مصيرها والعذاب الذي ينتظرها.

ان النغم الموسيقي لهذه الابيات يوحي بشدة اغترابها النفسي، فجاءت تلك الأنغام متوافقة مع حالتها النفسية، معبرة تعبيراً صادقاً عن الاغتراب الذي سكن في داخلها، عبر تكرار الاستفهام التعجبي (كيف) وتوظيفه بشكل فاعل في القصيدة.

وفي قصيدة اخرى لها بعنوان (كآبة الفصول الاربعة) تقول:[40]

نحــن نحيــا فــي عــالمٍ كلُّــه دمــ

ـــع وعُمـــر يفـــيض يأســـاً وحزنـــا

تتشـــفى عناصـــر الـــزمن القـــا

ســـــي بآهاتنـــــا وتســـــخرُ منّـــــا

فــي غمــوضِ الحيــاةِ نسـربُ كالأشـ

ـــــباحِ بـــــين البكـــــاءِ والآهـــــاتِ

لقد خلقت هنا جواً موسيقياً مليئاً بالآهات والأحزان، مناسباً لحالتها الشعورية رسمت من خلاله تصويراً رائعاً عبرت به عن مدى اغترابها، فالعالم لديها كله دمع والعمر ملئ باليأس والحزن.

ان هذا الجو الموسيقي الملئ بالأحزان والمعبر عن غربتها يستمر إلى نهاية القصيدة، مؤكدة بذلك عمق اغترابها الذي وصلت له، فضلاً عن أملها في العيش بهدوء بعيداً عن العذاب والخوف فتقول:[41]

آهِ لـــو كـــان فـــي الحيـــاةِ مفـــرٌ

مـــــن شـــــقاءِ الأوهـــــامِ والأفكـــــار

فـــي شـــعابِ الهُـــدوء يـــا ليتنـــا نُلـــ

ـــــقي بأعبـــــاءِ خوفِنـــــا الجبـــــار

فمن خلال هذه القصائد عبرت نازك عما في نفسها المتألمة، نتيجة لما تركته الظروف في داخلها من الم نفسي سبب لها تلك الغربة.

نتائج البحث:

لقد توصلت في دراستي هذه إلى مجموعة من النتائج وهي:

1- لقد كانت الظروف والضغوط الاجتماعية التي مرت بها نازك سبباً في اغترابها النفسي، فنازك امرأة تحلم بعالم مثالي، فهي تريد ان تعيش حياة حرة كريمة ليس فيها أية قيود أو تقاليد تتحكم بالمرأة وتمنعها من ممارسة حقها المشروع في الحياة.

2- استعملت في أغلب قصائدها، اللغة السهلة الواضحة، البعيدة عن الغموض والتعقيد، والمعبرة عما في نفسها المغتربة.

3- تجسد شعر الغربة النفسية لديها بالفاظ معينة هي (الحزن والوحدة والضياع والاغتراب والآه والبكاء)، فضلاً عن تكرارها لبعض الالفاظ، وما هذا الا نتيجة لغربتها التي انبثقت من نفسيتها المتعذبة.

4- ان معظم صور الاغتراب النفسي عندها، كانت حسية حركية عبرت من خلال الافعال التي استعملتها، عن احساسها النفسي المتألم لكل ما يحيط بها من ظروف اجتماعية أدت بها إلى العيش في غربة دائمة.

5- اتسمت قصائد الغربة لديها بنغماتها الموسيقية الحزينة، المنسجمة والمتلائمة مع حالتها الشعورية، فأعطت بموسيقاها تلك صورة واضحة عن احساسها النفسي المرير لكل ما حولها.

الهوامش:

(1) ينظر هامش نازك الملائكة، دراسات في الشعر والشاعرة، د. عبد الله أحمد المهنا: 470.

(2) المنجد في اللغة مادة (غرب): 547.

(3) معجم مقاييس اللغة مادة (غرب): 421/4.

(4) معجم متن اللغة مادة (غرب): مج276/4.

(5) الارشاد النفسي والتوجيه التتربوي، د. يوسف مصطفى القاضي، د. لطفي محمد فطيم، د. محمود عطا حسين: 237.

(6) معجم علم الاجتماع، البروفسور دينكن ميشيل، ترجمة د. إحسان محمد الحسن: 20.

(7) الاغتراب في شعر ما بعد الرواد في العراق 1960–1980، علي مجيد داود، رسالة ماجستير: 174.

(8) الغربة والحنين في الشعر العربي الاندلسي، أحمد حاچم محمد، رسالة ماجستير: 139.

(9) مج1 من ((عاشقة الليل)): 459.

(10) الغربة والحنين في الشعر العربي الاندلسي: 56.

(11) ادب المرأة العراقية، بدوي أحمد طبانة: 60.

(12) ينظر نفسه: 60، 61، 62.

(13) نازك الملائكة، دراسات في الشعر والشاعرة: 465.

(14) ينظر نفسه: 467، 468.

(15) المرأة في الشعر العراقي الحديث من 1900–1960، عربية توفيق لازم، رسالة دكتوراه: 364.

(16) الحركة النقدية حول شعر نازك الملائكة،أزهار فنجان صدام الامارة،رسالة ماجستير:61.

(17) ينظر الادب العربي الحديث، دراسة في شعره ونثره: 267.

(18) النقد التطبيقي والموازنات، د. محمد الصادق عفيفي: 181.

(19) نازك الملائكة، دراسات في الشعر والشاعرة، أحمد مطلوب: 607.

(20) يغير الوانه البحر: 112.

(21) مج1 من ((عاشقة الليل)): 656.

(22) مج2 من ((شظايا ورماد)): 161.

(23) نفسه: 162.

(24) مج1: 209.

(25) نفسه من ((عاشقة الليل)): 480.

(26) نفسه: 481.

(27) نفسه: 503.

(28) مج2 من ((قرارة الموجة)): 344.

(29) قضايا الشعر المعاصر: 242.

(30) مج1 من ((عاشقة الليل)): 503.

(31) مج2 من ((شظايا ورماد)): 162.

(32) الادب وفنونه، دراسة ونقد، د. عز الدين اسماعيل: 144.

(33) مج1: 213.

(34) نفسه: 655.

(35) الصورة الفنية في شعر القروي، حامد مردان شروان السامر، رسالة ماجستير: 75.

(36) مج1 من ((عاشقة الليل)): 480.

(37) نفسه: 603.

(38) النقد الأدبي، د. علي جابر المنصوري: 86.

(39) مج1 من مطولة ((مأساة الحياة واغنية للانسان)): 24، 25.

(40) مج1: 161.

(41) نفسه: 184.

المصادر والمراجع :

1- الادب العربي الحديث، دراسة في شعره ونثره، د. سالم أحمد الحمداني و د. فائق مصطفى أحمد، نشر وطبع وتوزيع مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، الجمهورية العراقية، 1987.

2- ادب المرأة العراقية، بدوي أحمد طبانة، الناشر دار العالم العربي، القاهرة، 1948.

3- الادب وفنونه، دراسة ونقد، د. عز الدين اسماعيل، ط7، ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربي، مطبعة السعادة، القاهرة، 1978.

4- الارشاد النفسي والتوجيه التربوي، د. يوسف مصطفى القاضي، د. لطفي محمد فطيم، د. محمود عطا حسين، الناشر دار المريخ للنشر، المملكة العربية السعودية، الرياض، 1981.

5- ديوان نازك الملائكة، مج (1، 2)، ط2، دار العودة – بيروت، 1979.

6- قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة، ط2، منشورات مكتبة النهضة، مطبعة دار التضامن، بغداد، 1965.
7- معجم علم الاجتماع، البروفسور دينكن ميشيل، ترجمة د. إحسان محمد الحسن، دار الرشيد للنشر، دار الحرية للطباعة – بغداد، 1980.
8- معجم متن اللغة، للعلامة اللغوي الشيخ أحمد رضا، مج4، دار مكتبة الحياة – بيروت، 1960.
9- معجم مقاييس اللغة، لابي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، بتحقيق عبد السلام محمد هارون، ج4، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ت)
10- المنجد في اللغة، لوئيس معلوف، ط37، مطبعة غدير، انتشارات ذوي القربى، 1423هـ.
11- نازك الملائكة، دراسات في الشعر والشاعرة، بقلم نخبة من أساتذة الجامعات، اعداد وتقديم واشتراك، د. عبد الله أحمد المهنا، شركة الربيعان للنشر والتوزيع – الكويت، 1985.
12- النقد الأدبي، د. علي جابر المنصوري، مطبعة جامعة بغداد، 1985.
13- النقد التطبيقي والموازنات، د. محمد الصادق عفيفي، الناشر مؤسسة الخانجي بمصر، مطابع الرجوي، القاهرة، 1978.
14- يغير الوانه البحر، نازك الملائكة، منشورات وزارة الاعلام، دار الحرية للطباعة – بغداد، 1977.

الرسائل الجامعية:

1- الاغتراب في شعر ما بعد الرواد في العراق 1960-1980، علي مجيد داود، رسالة ماجستير، جامعة البصرة، كلية الآداب، 1997.
2- الحركة النقدية حول شعر نازك الملائكة، أزهار فنجان صدام الامارة، رسالة ماجستير، جامعة البصرة، كلية التربية، 1998.
3- الصورة الفنية في شعر القروي، حامد مردان شروان السامر، رسالة ماجستير، جامعة البصرة، كلية التربية، 1995.
4- الغربة والحنين في الشعر العربي الاندلسي، أحمد حاچم محمد، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية الآداب، 1983.
5- المرأة في الشعر العراقي الحديث من 1900-1960، عربية توفيق لازم، رسالة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية الآداب، 1983.